

ولو عدت لك الفروق بيني وبينك، ولكن برغم كل هذا فالفروق مهما كانت فروق جزئية، ولا يزال بيني وبينك وجوه فالتغريات بني الناس مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة تغريات أما الإنسان في جوهره والجمعيات البشرية في نزعاتها الأصلية ومن أجل هذا كانت تجارب السلف تفيد الخلف. مهما اختلفت بيئاتنا ومدارسنا وثقافتنا. أهم ما جربت في حياتي أني رأيت قول الحق والتزامه، لقد احتملت في سبيل ذلك بعض الآلام، الأثام، وضاعت عليّ من أجله بعض المصالح، لقد استفدت منه راحة الضمري، واستفدت منه ثقة الناس بما أقول وما أعمل، ومع هذا فقد استفدت منه أيضا مادياً أكثر مما استفاد غربي، ممن لم يلتزموا الحق ولم يراعوا الصدق والعدل. ضمائرهم، للجاه أو العلو في المنصب، وخسروا الضمري، فلو حسبت حظاً. تكن النتيجة. ا ففشلوا فشلاً ذريعاً، بل عيبهم أنهم التزموا هذه وتحروا العدل ولكن الذنب ذنب السماجة. فتعلّم من هذا أن تقول الحق في أدب وتتحرى العدل والصدق في لباقة ولياقة. فمن غضب بعد ذلك كان يهيب عليك من اللفحة الحارة نسيم ا عليلاً. ومن أهم تجاربي أيضا أني رأيت كثيراً من الناس يخطئون فيظنون أن امال هو كل شيء في الحياة. للمال، وبشرط ألا يكون ما تحصله كثرياً ا جم ا، فتقلب عبد ا له، فإن فمنهم من بدأ حياته يطلب امال على أنه وسيلة ثم استمر في طلبه بعد أن استوفى وقد دلتني التجارب على أن أسعد الناس من وضع ونظر إلى امال على امال في موضعه اللائق به، أنه وسيلة من وسائل السعادة لا كل السعادة، ولم يطلبه إلا مع الشرف والعزة والإباء. أنه لم يعجبني موقف زماننا من الدين ولا موقف زمانك، لا سماحة فيه، متشددا لا لي فيه، مغلقاً لا عقل فيه، والدين في زمانكم متضائل لا حياة منسي لا ذكر له، والحياة السعيدة كما دلتني التجربة حياة ترتكز على الاعتقاد بإله يركن إليه ويعتمد عليه، ويملأ القلب رحمة وعطفاً ا وحباً لخلي الإنسانية. وألا يكون ضيق الأفق فيناهض العلم، له مجاله وللعلم مجاله، وأن الدين الصحيح لا يناقض العلم الصحيح، جميعاً للإنسانية، هذه، يا بني، بعض تجاربي في الحياة وما أكثرها! ولكني أخشى أن أطيل عليك فتمل،